قراءة في الوضع الراهن

قوى الاستسلام تقرر التعاون للخروج من أزمتها

... وتتمزق بين ضغوط كيسنجر وعجزها عن قمع الجماهير

بقلم
عدنان بدر

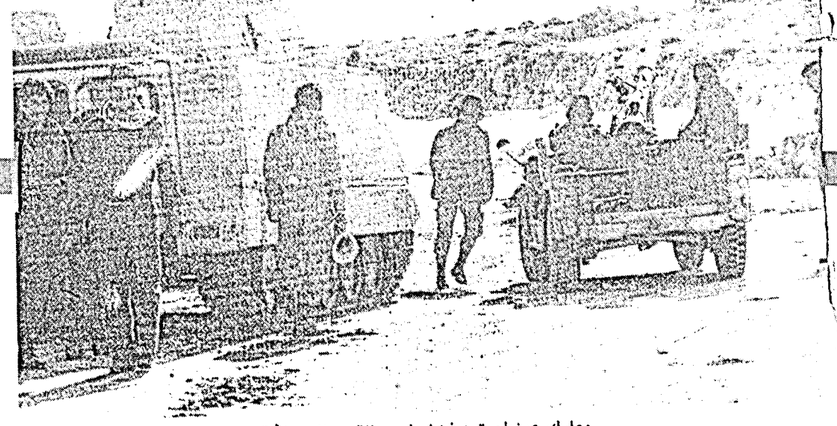

معارك عينطورة : فشل ذريع للقوى الانعزالية

بعد فرض سركيس رئيسا جديدا ، الامر الذي اعتبر انتصارا سياسيا لليمين الفاشي صنعته له دمشق بالوسائل المعروفة .. وفي ظل الهدنة التي التزمت بها الحركة الوطنية .. وبحماية ضمانات سورية عملية للفاشيين بأن اطلاق النار لن يتجدد في بيروت (الامر الذي كشفه مندوب « الصاعقة » في أحد اجتماعات قادة المقاومة) .. ظن الفاشيون أن الجو قد أصبح مهيأ لتحقيق نصر عسكري معين يخدم أهدافهم الرئيسية من خلال ما يمكن أن يحدثه من خلخلة في صمود المقاومة والحركة الوطنية ، فيضعهما على طريق سلسلة من التراجعات السياسية والعسكرية المتلاحقة والموصلة في النهاية الى ما يشبه الاستسلام ان لم يكن الاستسلام بذاته .

ووفقا لهذا التخطيط حشد الفاشيون أقصى ما لديهم من امكانيات ، وفرت الضمانات السورية لهم حشدها عن كافة الجبهات ، وفتحوا بها مجددا معركة بولونيا المروج - عينطورة المتين .. لكن بسالة القوات الوطنية المدافعة عن عينطورة والمتين وصمودها البطولي في وجه تلك الهجمة الشرسة ، كان بداية لزعزعة هذا المخطط ، الامر الذي عاد فاستنهض التصميم الجماهيري الوطني الذي توج بموقف التصدي الشامل الذي أعلنته الحركة الوطنية والمقاومة بالرغم من معارضة « الصاعقة » وعراقيل القوات السورية .. فكان أن صد الهجوم الفاشي عن محور عينطورة - المتين ، وبدأت القوات الوطنية باقتحام جبهة جديدة في الجبل ، هي جبهة عيون السيمان - فاريا . كما انطلقت تلك القوات على مختلف جبهات القتال الاخرى توجه للفاشيين ضربات موجعة ومتلاحقة ..

في هذه الاثناء كانت القوات السورية تعد لتوجيه ضربة عسكرية قوية لفصيل من فصائل الحركة الوطنية ، على أمل أن « تؤدب » بنتيجتها الحركة الوطنية ككل ، فتكتمل بذلك عملية الاطباق الاستسلامي على الوضع اللبناني - الفلسطيني الوطني ..

ومن أجل هذه الغاية فتحت القوات السورية المعركة مع حزب البعث العربي الاشتراكي في طرابلس ، وباعتقادها أنها كانت قادرة ضمن وضع طرابلس الخاص على تحقيق غرضها ..

لكن التصدي الباسل الذي واجهت به الحركة الوطنية في طرابلس هذه الهجمة والنقمة الجماهيرية العارمة التي جوبه بها النظام السوري واتباعه ليس في طرابلس فحسب ، بل في كل لبنان (ما عدا المناطق التي يسيطر عليها الفاشيون بالطبع) .. لكن ذلك كله أحبط الخطة السورية ، وأعطى للمقاومة والحركة الوطنية زخما أكبر على متابعة عملية رفض الوصاية والاحتواء وتحدي الهيمنة والارهاب القادمين من دمشق .

هل كانت مصاعب النظام السوري سببا لتأجيل لقاء الرياض ؟

مساء الاربعاء الماضي أعلن فجأة تأجيل مؤتمر الرياض الى أجل غير مسمى ، وذلك قبل ساعات قليلة من الموعد الذي كان مقررا له ..

وفي نفس اليوم كانت وكالة « رويتر » قد نقلت عن مصادر عربية واسعة الاطلاع أن الرئيس الاسد يواجه نقدا شديدا داخل السلطة السورية ، ويواجه صعوبات في مواجهة الدور السوري في لبنان ، وفي مواجهة ما يمثله لقاء الرياض من قبول باتفاقية سيناء .

وقد ربط المراقبون بين التأجيل المفاجىء للقاء الرياض ، وبين أنباء تلك المصاعب التي تعاني منها السلطة السورية !

وبفشل الهجوم الفاشي في عينطورة والمتين ، وفشل الضربة الارهابية السورية في طرابلس بدأت الامور تأخذ أبعادا جديدة ..

فالفاشيون وجدوا أنفسهم وجها لوجه أمام احتمالات هزيمة عسكرية جديدة في منطقة فاريا تهدد أخطر مواقعهم هذه المرة ، لا بل قد تهدد صلب « الكيان » الذي أقاموه لانفسهم في جونيه ومناطق كسروان ، دون أن يكون حلفاؤهم الحاكمون في دمشق قادرين هذه المرة على درء هذه الهزيمة عنهم كما فعلوا سابقا مع هجوم المتن .

في حين أن السوريين وجدوا أنفسهم يغوصون فيما يشبه الرمال المتحركة ، فلا هم قادرون على المضي في المهمة القمعية الموكولة اليهم في لبنان ، وبالتالي على السير قدما في معركتهم مع الحركة الوطنية والمقاومة ، دون أن يعرضوا نظامهم في دمشق للخطر .. ولا هم قادرون على التراجع الواضح أنه سيكون في صورة الهزيمة ، هذا بالاضافة الى الاقرار بالفشل أمام الجهات التي تعهدوا لها بتنفيذ الدور المشار اليه ودخلوا معها في كومبينات سياسية تتجاوز حدود لبنان لتدخل في صميم عملية التسوية لما يسمى بأزمة الشرق الاوسط .

وأمام هذا المأزق لجأ السوريون الى قمة عرمون، حيث قام الامام الصدر بزيارة دمشق ، وعادليعلن ضمان الرئيس الاسد لاستقالة فرنجية وتعهده بتجميد عمليات القوات السورية في لبنان .. في حين قام الرئيس رشيد كرامي (زلمه السوريين هذه الايام ، أو زلمه من هم وراءهم) ليصرح بأن القوات السوريه جاءت الى لبنان بطلب من قمة عرمون ، وهي بالتالي موضوعه تحت تصرفها !

وقد أوحت هذه التصريحات بأن السوريين بدأوا يعيدون النظر في دورهم ، وأنهم يبحثون عن صيغة معينه لهذا التراجع تنفي عنهم صورة الهزيمة ، وتحفظ لهم ماء الوجه ..

معركة جيش التحرير :

على هامش هذا المجرى الذي اتخذه الدور السوري ، كانت هناك معركة يمكن تسميتها بمعركة جيش التحرير .. اذ من المعروف أن قيادة هذا الجيش المعقودة اللواء لمصباح البديري، كانت منذ فترة طويلة خاضعة للقيادة السورية الى درجة تحدي اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير وعصيان قراراتها وحتى التهديد بالتصدي لها - كما جرى قبل أكثر من عامين - .

وانطلاقا من هذا الموقع لتلك القيادة ، اعتبر حكام دمشق أن قوات جيش التحرير الفلسطيني هي جزء من قواتهم يحركونها كما يريدون ويوجهونها كيفما يشاؤون ، ويسلطونها على من يرغبون .

وضمن هذا التطور أرسلوا قوات هذا الجيش الى لبنان على أمل أن تساهم بتنفيذ الدور السوري المعروف ، لكن بهوية فلسطينية !!

لكن الجسم الاساسي لهذا الجيش من جنود وضباط صف وضباط ، أثبتوا في النهاية أن ولاءهم الاساسي هو للقضية الفلسطينية وللشعب الفلسطيني وثورته .. فاذا بهم يرفضون أن يوجهوا أسلحتهم الى صدور أهلهم ورفاقهم في الحركة الوطنية وحركة المقاومة وخاصة في مخيمات الصمود الفلسطيني .

واذا كان البعض منهم قد انجر مؤتمرا أو مخدوعا الى المشاركة في الضربه الارهابية السورية في طرابلس .. فانهم ما أن وجه لهم أبو عمار بوصفه القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية الامر بالانسحاب من طرابلس ، حتى كانوا يستجيبون لذلك الامر مؤكدين الحقيقة الوطنية لهذا الجيش الذي لا بد له وأن يكون جيش الشعب الفلسطيني ...

وقد لعبت هذه المسأله دورا أساسيا في تصعيد حدة مأزق حكام دمشق .

الفاشيون يلجأون للتصعيد المجنون :

هذا ما كان من أمر حكام دمشق ، أما ما كان من أمر الفاشيين . فبعد أن فشل هجومهم على عينطورة والمتين ، وبدأوا يتلقون الضربات على كافة الجبهات الاخرى .. وبعد أن وجدوا في حلفائهم الحاكمين في دمشق عجزا عن تنفيذ الضمانات التي كانوا قد وعدوهم بها .. وفي ظل اقتناعهم بصعوبة الحصول على دعم خارجي اخر بالسرعة المطلوبه .. لجأوا الى التصعيد والتفجير المجنون سياسيا وعسكريا بطريقه « علي وعلى أعدائي » .

فعلى الصعيد السياسي قام ناطق بلسان «بلدية ذوق مكايل » ليعلن ان الاتفاق بين فرنجية والاسد لا ينضمن صلاحيه الاخير للتعهد باستقالة الاول !! فكشف بهذا التصريح أن الفاشيين لا ينظرون للمبادرة السورية الا بالمقدار الذي تخدم فيه أغراضهم .. وأنهم بالتالي يهددون المساومة السياسية الكبيرة « الشرق أوسطية » التي كانت ضمانات السوريين لهم جزءا منها .. وأن فرنجية لن يقدم على الاستقاله ما لم يضمن الفاشيون استمرارية المؤامرة واستمرارية الدعم العسكري الاستسلامي لهم ، وقبل أن يتأكدوا من أن الدولة التي سيبنيها سركيس ، ستكون في خدمتهم وخدمة مصالحهم ومؤامرات أسيادهم التصفوية .

هذا على الصعيد السياسي ، أما على الصعيد العسكري فقد لجأوا الى تصعيد القصف العشوائي الوحشي للاحياء والمناطق التي تسيطر عليها المقاومة والحركة الوطنية ، بشكل لم تشهد له كل أشهر القتال السابقة مثيلا .

كيسنجر يحذر انظمة الاستسلام

على هامش هذا الوضع الذي يحيط بالفاشيين وبحلفائهم حكام دمشق ، يبرز على الصعيد العربي اللقاء الذي كان من المفروض أن يتم في الرياض ويحضره رؤساء وزارات سوريا ومصر والسعودية والكويت .. ذلك اللقاء الذي قالت عنه صحيفة « الجمهورية » القاهرية نفسها انه لقاء من أجل وضع « استراتيجية للسلام » !!

وهو بالفعل لقاء بين ممولي عملية الاستسلام العربية وبين منفذيها، لتدارس الوضع الاستسلامي برمته على ضوء تصاعد العقبات لا سيما بعد أحداث لبنان ، وتلافي الخلل الذي أصاب الانظمة والقوى القائمة على تنفيذ « العملية » .. والتخلص من سياسة « الخلافات » المعقودة بين هذا الطرف أو ذاك من أطراف تلك العملية ، لا سيما بين النظامين المصري والسوري ، على أمل تجديد زخم رحلة الاستسلام وتوفير وسائل ازاحة العقبات المتصاعدة في وجهها .. خاصة وان كيسنجر نفسه - وهو « عراب » العملية - اخطر للاعلان عن أن أحداث لبنان « عرقلت السير قدما في معارضات السلام في الشرق الاوسط » ، بعد أن كان قد أعلن سابقا ، وقبل أن ينجلي اتجاه موازين المعركة في لبنان عن تفاؤله بالنسبة لمساعي التسوية في المنطقة ، وعن عزم رئيسه فورد على القيام بجولة في الشرق الاوسط ، كان يجب أن تتم في شهر أيار الجاري كي تزوده بزخم انتصاري يساعده على خوض معركة الانتخابات الرئاسية الحالية في الولايات المتحدة نفسها .

فاذا بالغاء هذه الزيارة ، واعلان كيسنجر قبل أيام عن أن أحداث لبنان عرقلت التسوية ، يأتيان كنوع من التهديد الاميركي لانظمة التسوية كي تبذل جهدا أكبر من أجل ازالة المعقبات من طريق عربة كيسنجر، وهذه بالذات هي مهمة مؤتمر الرياض ، الذي تقول أنباء رسمية صادرة عن أطراف مشاركة فيه أنه سيمهد للقاءقمة مصري - سوري - سعودي - كويتي ، وقد يتسع أكثر (اذا ما تحتمه « نجاح » أكبر) ليضم الاردن ومنظمة التحرير !!

دور المنظمة

وعلى صعيد منظمة التحرير يجب ألا نتغافل عن أن مهمة براون كانت قد توصلت - كما قيل في حينه - الى نوع من الوعد الاميركي بالتعامل مع المنظمة حتى أن البعض لا يستبعد أن يكون طلب مصر لانعقاد مجلس الامن (الامر الجاري حاليا) قد تم بايعاز من الدوائر الاميركية لاتخاذ موقف أميركي مختلف عن المرات السابقة ، أي بدون فيتو ، على أمل أن يشكل هذا الموقف جسرا الى دغدغة « غرائز التسوية » لدى بعض الاوساط القيادية في المنظمة وجرها من ثم الى خارج موقف الصمود الوطني الفلسطيني - اللبناني القائم حاليا

أمام كل هذه المعطيات يصبح واضحا ما يلي :

١ - ان وضع الفاشيين السياسي والمعنوي والعسكري ، قد بلغ حضيض أزمته . وبالتالي فان